**الجزء الأول من محاضرة مياكافيللي وفكرة الدولة الوضعية**

**ميكافيللي وفكرة الدولة الوضعية**

سنسلط الضوء في محاضرتنا على شخصية مهمة في تاريخ الفكر الغربي الحديث، وقد تكون هذه الشخصية من أبرز الشخصيات التي أثرت بزعماء وقادة عدة، كما وقد إتخذت مقولته المشهورة "الغاية تبرر الوسيلة" مساحة واسعة بين جمهور المثقفين لما تشكل لها من دلالات مهمة على صعيد التنظير السياسي، ولذلك يعتبر المفكر الإيطالي نيقولا ميكافيللي (1469ـ1527) من أهم المنظرين للدولة الوضعية الحديثة، منطلقاً تنظريه لهذه الدولة من بيئته السياسية والإجتماعية التي عاشها في ذلك الوقت، وقد تكون دراسته للفلسفة والتاريخ اعطته مساحة تحليل معمقة لنظريته السياسية، فضلا عن أن الوظيفة التي كان يمارسها (وظيفة سكرتير قنصلية فلورنسا)، في وقت قد شهدت ايطاليا فيها اصعب مراحلها، إذ تعرضت آن ذاك للغزو الفرنسي والأسباني والألماني، وهذا ادى إلى تقلص الدور الإقتصادي في فلورنسا لا سيما في حركة التجارة، وهذا الأمر أدى بميكافيللي إلى نتيجة مفادها، هي إقامة دولة وضعية قوية من خلال طروحات ورسائل كتابها، لا سيما كتابه المعروف (الأمير).

لم يتم نشر كتاب الأمير إلا بعد وفاة مكيافيللي بخمس سنين، ولذا لم يفهمه البعض وهاجموه حتى أصبح اسمه ملازماً للشر دائماً حتى في الفنون الشعبية، مما أدى لتحريم الإطلاع على كتاب الأمير ونشر أفكاره، ووضعت روما كتابه في تلك الفترة ضمن الكتب الممنوعة وأحرقت كل نسخة منه، واعتقد أن مرد هذا يعود إلى موقفه من الكنيسة وتصوره لمفهوم معين لدين يظهر في الأقوال التالية:

ـ حبي لنفسي دون حبي لبلادي.  
ـ من الأفضل أن يخشاك الناس على أن يحبوك.  
ـ الغاية تُبرر الوسيلة.  
ـ أثبتت الأيام أن الأنبياء المسلحين احتلوا وانتصروا، بينما فشل الأنبياء غير المسلحين عن ذلك

ـ أن الدين ضروري للحكومة لا لخدمة الفضيلة ولكن لتمكين الحكومة من السيطرة على الناس.  
ـ من واجب الأمير أحياناً أن يساند ديناً ما ولو كان يعتقد بفساده.

ـ لا يجدي أن يكون المرء شريفاً دائماُ.

لقد توصل ميكافيللي إلى أن هناك مقومات ومعوقات للدولة الوضعية القومية، فما هي المقومات والمعوقات:

**أولا:** **مقومات الدولة الوضعية القومية عند ميكافيللي**

لقد جاءت مقومات الدولة على شرطين أساسيين عند ميكافيللي وهما (الأمير، والجيش).

1.الأمير

يعد الأمير الشرط الأول لقيام الدولة الوضعية، إذ لا يمكن لهذه الدولة أن تكون قوية مالم يكن لها حاكماً مميزاً يأخذ على عتاقه مهمة إقامة الدولة الوضعية القوية تحت شعار الغاية تبرر الوسيلة، ومن خلال هذا الشعار يمكن القول بأن لابأس على الأمير أن يكون بعيداً عن الفضائل وقريباً من الرذائل ، لأن كل ذلك من اجل الدولة القوية، كما يجب عليه ايضاً الإبتعاد عن معايير الطيبة والخير، كما ليس عليه أن يكترث إذا أتهم بالقسوة، لأن جل همه هو الحفاظ أو إقامة الدولة القوية، وبالتالي كل ذلك من اجل المصلحة العامة، على الرغم من أن الشعب سيعيش حالة من الخوف جراء القسوة التي يتصف بها الأمير، هو خوف مقبول لأنه يخدم تحقيق مشروع الدولة الوضعية.

ومن الخصائص الأخرى التي يتمتع بها الأمير هو التكيف مع الظروف، لأن الدولة قد تمر بمرحلة حرب او سلام ، أوتمر بمرحلة ركود إقتصادي او تطور إقتصادي وغير ذلك من المتغيرات التي تصاحب الدولة، كل ذلك يحتاج إلى أمير يمتاز بالتكيف، وهذا يعطي تبرير له بعدم الإلتزام بالعهود والوفاء بها، لأنه الأعرف والأحرص على دولته

2. الجيش

لقد قلنا في الإسطر السابقة، أن ميكافيللي عاش مرحلة متدهورة مرت بها إيطاليا حيث تعرضت للغزو من قبل أكثر من دولة ولهذا الأمر سبب مهم جداً وهو الجيش، فالجيش عند ميكافيللي يشكل الشرط الثاني لقيام الدولة الوضعية، والمتعارف أن الإيطاليون كانوا يديرون شؤنهم السياسية بإنفسهم، أما حروبهم فقد كانت يديرها مجموعة من المرتزقة، وهذا يعني ان الجيش الإيطالي متشكل من الجنود الأجانب، وهذا الأمر يشكل حالة سلبية، سواء من الناحية الإقتصادية أو من الناحية الأمنية، فالمرتزقة ليس بالمقاتلين الأغبياء لأنهم يتمتعون بفنون الحرب التي تجنبهم القتل والجرح وفي الغالب كانوا يطيلون الحرب من اجل المنفعة المالية وكل ذلك يثقل كاهل الدولة من خلال صرفها لمبالغ مالية كبيرة، لذلك كان يعد يوم النصر أو الهزيمة للمرتزقة من اتعس الأيام لأنه سينتهي معه الأرباح والفوائد، وعليه أصر ميكافيللي لضرورة قيام جيش وطني وإلغاء المرتزقة، لأن الجيش الوطني مضمون ولائه وحماية أمن الدولة واجب مقدس بالعكس من جيش المرتزقة الذي سيشعر الأمر حياله بالقلقوعدم الأمان.